المقالع الرملية

مهدي النجار

— عندما تبتعد عن مدينة «ك» بحوالي اثني عشر كيلو مترا باتجاه الجنوب الغربي ، التفت نحو اليسار فسترى تلالا رمليه تنتصب فوقها ناثرات خضراء .

توقف عند التل الثالث ، ومن الافضل ان تكون هناك في الساعة الخامسة صباحا ، حيث ستنقلك سيارات الحمل الكبيرة الى المقلع .. »

بلل وجهه المائل الى اللون البني بحفنة من الماء ثم حشر اصابعه الطويلة بين خصلات شعره الفحمي وقلبه الى الخلف بعدها هبط نحو الشارع وكان خاليا وما زالت الاشياء ترتمي بارتخاء تحت اللون الصباحي المظلم قليلا .

● ● ●

توقف في بداية الطريق الحاسي ومقابل التل الثالث وكان الصباح هادئا وقد بدأت الشمس تشق وتصبغ الاشياء بحمرتها الباهتة ، حرك رقبته عدة مرات ثم مسح دراعيه الى الجانبين بقوة وكان الهواء المنقي عبر مروره فوق كثبان الرمل الممتدة يمضا رغم حركته الثقيلة ، استنشق استنشاقا طويلا ثم احس بارتياح عندما امتلأت رئتيه بالهواء وكانت الساترة ذات الارضية الحمراء والخطوط البيضاء الرديئة مصلوبة فوق قمة التل .

حدق فيها واطلق صفيرا خافتا :

« — تعال معنا الى مقالع الرمل ...

— حسنا !

— ولكن ...

— ولكن لا بد للانسان ان ياكل — مثلا — ويقرأ ويغني و ... ويحب ايضا ...

— كل رؤساء العمل يكرهون قراءة الصحف والثرثرة !

— هه !! الا ترى كيف عملت اخيرا باحدهم .. عملت كومة طينية ، تحولت الكومة الى كرة ، داعبتها بيدي قليلا .. ماذا تتوقع ان اعمل بها ؟! .. هه ! ، رميتها بوجهه ، ضحك كثيرا ، هذا رائع !! .. رائع ان تشوه وجوه الجمازير ثم تضحك ، ثم تأخذ نصيبك من الركل والعصي ثم .. ثم تجوع .. تجوع .. وفجأة تتحول الى .. »

توقفت سيارة الحمل الكبيرة — عندما اشار لها — فتسلق جرتها الخلفي المكشوف بسرعة وكانت الشمس قد بدأت بتصعيد طاقتها وبدا لونها محتقنا وكانت الرمال تثار من جانبي اطارات السيارة فتحدث خشخشة متكسرة ، وكان السائق قد انهى تثاؤبة طويلة بعدها راح يغني بصوت مبحوح ويتقر فوق مقود السيارة ويهز براسه منتشيا .

توقفت السيارة — عند المقلع — وعندما هبط ربت العجوز على كتفه وقد انفرج فمه عن اسنان متهدمة :

— انت متأخرا !

تحسس العجوز طاقيته الصفراء المتآكلة الحواف ثم اضاف دون ان يلتفت نحوه :

— هنا نتناوب العمل كل اثنين ، انت شريكي من الان فصاعدا ، علينا ان نعمل بمهارة وسرعة .

● ● ●

كانت اقدامهم تغوص في الرمال ، واحس بباطن قدمه تتقلى رغم انه كان ينتعل الحذاء الكتاني ، توقف عن العمل وامتد بصره في الصحراء :

— تشبه الصحراء التي سرقوا منها تخيرتنا ..

بصق فوق الارض الرملية بصاقا داكنا سرعان ما تبخر لتخلف اثرا اغبر بعد لحظة ، مسح فمه بظاهر كفه المعروقة وتربع فوق الارض بجانب العجوز .

مد العجوز يده نحو صدريته الوسخة واستخرج منها لفائف الخبز اليابسة مع حبات التمر ، نثرها فوق الرمل وعندما بدا بمضغ الرغيف كانت همهمة تسمع تحت اسنانه :

— انهم يستعدون لمعركة قادمة !!

قال ذلك — ذو الشعر الفحمي — ثم رمق العجوز بنظرة استفهام وتابع :

— الا تعتقد اننا سننتصر ؟!

رمقه العجوز بطرف عينيه ، قال بعد ان لهم لقمة ثانية :

— هم يقولون ذلك !

— الا تصدق ؟

— اوه ...

رمى العجوز نوى التمر نحو الاعلى وتابع :

— يجب ان نصدق .. هه !! .. والا ؟

احتقن وجه — ذو الشعر الفحمي — وبدا مهموما :

— الذخيرة ! .. لماذا سرقوها ؟!

ضحك العجوز ثم نظره واشار نحو حبات التمر بعد ان داعبها :

— والمؤونة ؟!

— كان بعضنا .. لا .. اغلبنا كان يعاني فقر الدم ، الا اننا كنا نقاتل ...

صفن — ذو الشعر الفحمي — قليلا ثم تابع مستغربا :

— ماذا يصنعون بها ؟

— يصنعون منها اوسمة .. وو ...

تابع العجوز بالم :

— نحن ايضا قاتلنا ولكن بلا ذخيرة .. اعطونا ذخيرة فاسدة !

انطلقت ضحكة عالية من صوب الصبي الممدد فوق الرمال :

— انظروا العجوز يتكلم عن القتال !

— توقف يا كلب .. انا اقوى منك الف مرة !

وبعد صمت قليل تابع العجوز وقد بدا مزهوا :

— كلما نكبر نزداد قوة وتخضع اجسامنا للمرونة ... كنت في العشرين كهولا ، جاسني الطفل الاول فزاد نشاطي ، وهكذا راح يتضاعف !

ضحك وملأ فمه بقطعة خبز دفعها بحبة تمر ، تابع وفمه ممتلأ :

— والان عندي جوقة .. شعب كامل !

عاود الصبي قهقهته ثم قال وهو ينهض متحذرا :

— على اي حال اصبحت عجوزا ...

رمقه العجوز بنظرة استياء :

— ملاعين .. تؤف على الدنيا !

لم فتات الخبز الساقطة على فخذيه ثم التهمها بسرعة بينما استخرج — ذو الشعر الفحمي — صحيفة قديمة من جيبه ، حدجه العجوز وبعد ان تثاءب قال :

— انهم يكذبون !

كانت الحرارة تتضاعف وكان العرق ينساب فوق جبين العجوز المغضن ، مسح جبهته وقال :

— ولكن يجب ان نصدق ...

— ربما سنربح !

عض العجوز شفتيه وهمس بسرعة :

— يجب ان نصدق ..

تابع وهو ينهض :

— عندي شعبا كاملا !!

● ● ●

بدات الشمس تعقد مفعولها وكان قميصه قد تيبس فوق جلده وتبقع لونه الجوزي بالبقع البيضاء الباهتة ، نفش شعره الفحمي — وكان قد تحول الى اللون الصحراوي — فتساقطت منه حبات الرمل بغزارة ، دس الدراهم السبع بين اصابعه بقوة وتسلق ظهر السيارة بخواء وكان يمد بصره نحو الكثبان الرملية ، ضحك العجوز بفتور :

— هل نعود غدا ؟

هز براسه بينما انهالت الدراهم في جيبه بعد ان بسط قبضته وعندما سمع رنينها بدا يحلم بارتياح ...

قراءات شعرية في الامرأة الخليج

« الفرح يورق من تحت المقصلة ،
اغنية حمّلتها امي الى الفقراء لتعزيهم
وانـا احملها اليهم لانها الاغنية
الحقيقية للثورة » .

اين الفجر اذن ؟
اصرخ يـا وطني ..
اين الفجر ؟
احنُّ الى فجرٍ يفهمني ..

وكطفلٍ أصرخُ يـا وطني :
احتاجُ امرأةً كالفجر اذا كان الفجرُ
قتيلاً كبقية اشيائـكَ
او سجناً تاكلني فيه الزنزانات ،
وتمتصُّ رطوبته اصواتاً
توشك ان تخلعني من نفسي .
« احتاج امرأة فيها طعم الماءِ ،
وطيب تراب الارضِ ،
وقسوة سكين صادقةٍ تنفذ
في لحمي ..
وفيها الانسـان جريحاً يتعذبُ ،
او مجنوناً في الطرقات ينادي :
يـا وطني

« يـا وطني ،
يـا وطني ،
يـا وطني ،
هل تسمعني يا وطني »

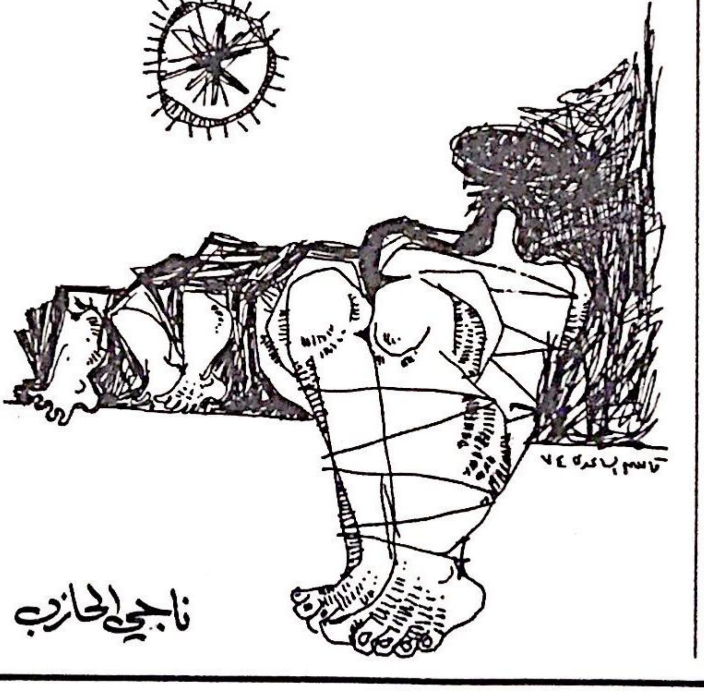

ناجي الحازب

احتاج امرأةً ،
هاويـةً ،
شيئاً كالنارِ يطهرني من رجسِ
نسـاء الليـلِ
وليس بقلبي غير بقلبي واحدةٍ
هي هـذه :
« انتِ ، انت امراتي
فتعالي ، نبدأ من هذا الليلِ
شروقاً كونياً
ونعاهد كلّ اغاني الفقراء المقتولين
على ارصفةِ الجوعِ
ولمضني ..
انتِ امراتي !!
وسأحمل اسمكِ للاطفالِ
وللانهـارِ
وذاك البدويّ الممعن بالهجراتِ
سيعرفُ :
ايّ جنونٍ في الغربة ياخذني ..
وستعرف امي ،
والوطنُ المذبوح سيكتشف اللغز
بعينيكِ
ويشهـد لي :
ان الهاً انسانياً هذا الشاعرُ ..
والامطار ستأتي من كل جهات
الارض دمـاءً
وستغسل عالمنا من اوساخ المرتدينَ
وتحملنا للناس وللارض سلاماً ..
للعمال سلامـاً ،
وسلاماً للفلاحين ..

من مطبوعات وزارة الاعلام العراقية

صدر حديثا في سلسلة الكتب المترجمة

كتاب نظرية المسرح الملحمي

ترجمة الدكتور جميل نصيف

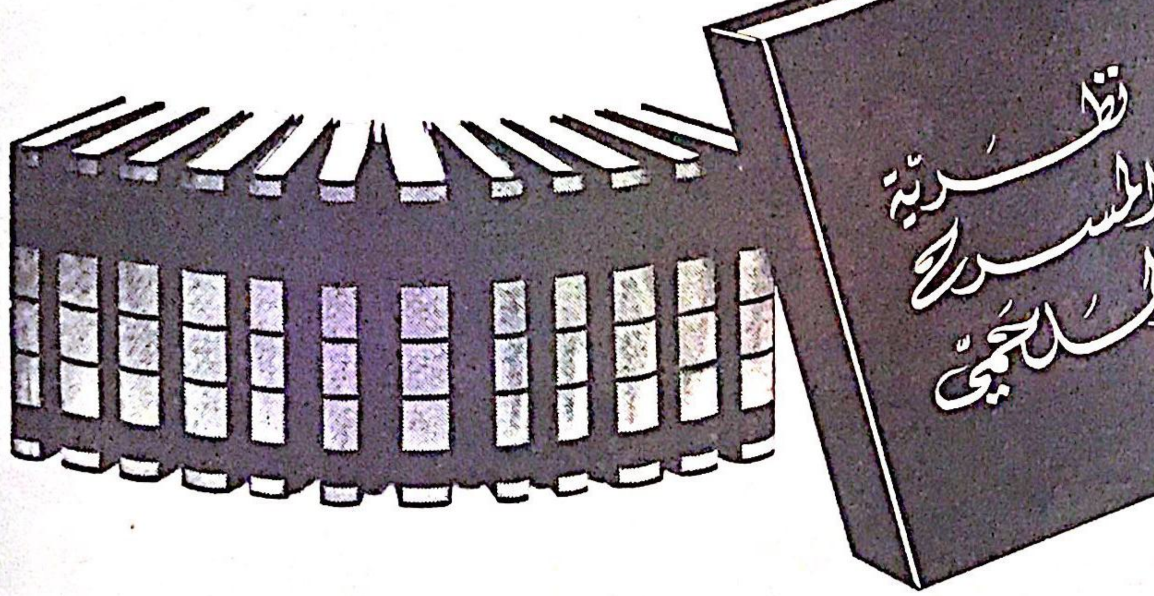

في سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث يصدر قريبا

ديوان الرافعي

لشاعر التصوف المرحوم عبد الحميد الرافعي

يصدر قريبا في سلسلة القصة والمسرحية المجموعة القصصية

الدف والصندوق

ليحيى الطاهر عبد الله

في سلسلة الكتب الحديثة يصدر قريبا كتاب

الحماسة في شعر الشريف الرضي

تأليف الاستاذ محمد جميل شلش